في حروف المعاني (دراسة وصفية وقراءة في المصنفات)

In Letters of Meanings
(descriptive study and reading in works)

إعداد

عبدالعزيز راشد الحسيني
Abdulaziz Rashid Al Husseini

Doi: 10.21608/mdad.2021.184426

الاستلام: ٢٣/ ٥/ ٢٠٢١م **القبول : ١٥ / ٦/ ٢٠٢١م**

الحسيني ، عبدالعزيز راشد (٢٠٢١). في حروف المعاني (دراسة وصفية وقراءة في المصنفات) ، ***المجلة العربية مـــــداد*** ، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٥ (١٤)، ص ص ١٣٩ – ١٥٦.

في حروف المعاني (دراسة وصفية وقراءة في المصنفات)

المستخلص :

يسعى البحث للوقوف على الحروف في اللغة العربية واستقصائها وتعريفها وكلام العلماء القدامى فيها، وكذلك وصف ما جاء من معانيها في القرآن والسنة، وكيفية تغير معناها بالنسبة للسياق الذي ترد فيه، ومن ثم تطرق البحث لبيان أقسام الحروف، وبيّن أن هناك حروف تختص بالأسماء وحروف أخرى مختصة بالأفعال، وقسم ثالث مشترك بينهما. بعد ذلك توجه البحث للنظر في اتجاهات العلماء نحو إن كان معنى الحرف بنفسه أم بغيره، وقد استعرض البحث الاتجاهات الثلاثة وحجج العلماء فيها، وأيضا تم استعراض جهود ابن جني فيها، وفي الأخير استعرضت أهم المؤلفات والمصنفات في الحروف

Abstract:

This research aims to examine the prepositions in the Arabic language, survey them, and provide definitions for them based on the explications of earlier scholars and linguists. It also endeavors to describe their meanings in accordance with the Holy Qur'an and the Sunna (Prophet's traditions) and tracks the modifications that occurred to their meanings compared to their lexical contexts. Therefore, the research has to delve into an exploration of the categorization of prepositions to elucidate that there are certain prepositions that are particularly related to the nouns, others that are closely related to verbs, and a third category that can be used with both of them. After this, the research explores the scholars 'attitudes concerning the dependability of the meaning of the prepositions whether they have independent meaning on their own or have to rely to other words. The research shows the three different views in this field and the arguments held by the supporters of each of them. It also focuses on the efforts that were exerted by Ibn Jinny in explaining these prepositions. Finally, the research lists the most significant books and references that discuss prepositions.

- تمهيد:

كل لغة في العالم لها مميزات مختلفة عن غيرها من اللغات، واللغة العربية تتفوَّق في هذا الصدد عن لغات أخرى عديدة من ناحيةٍ بلاغية، فأكثر ما يميزها بلاغياً هو كثرة الحروف، فاللغات كلها وفيرة من جهة الأسماء والأفعال، إلا أنها لا تضاهي وفرة اللغة العربية في الحروف، ولا يقصد بذلك الحروف الأبجدية، بل حروف الكلام، فالكلام في اللغة ينقسم إلى: اسم وفعل وحرف، يقول ابن مالك -رحمه الله-:

كلامنا لفظٌ مفيدٌ كاستقم

اسمٌ وفعلٌ، ثمّ حرفٌ الكلِمْ[١]

والحرف لغةً فيه عدة معانٍ، منها: جانب الشيء وشفيره وطرفه، ومنها: "الشرط أو الشيء المرجو المتوقع، ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ [الحج: ١١]، وقيل: المراد بالحرف في الآية: الشك، أو: على غير طمأنينة، وقيل: الوجه الواحد وهو السرَّاء، والطاعة والعبادة تجب لله على كل حال في السرَّاء والضرَّاء".[٢]

أما اصطلاحا، فقد عرف النَّحْويون حروف المعاني بتعريفات كثيرة متعددة، وكلها متقاربة، منها الآتي:

- عرفها سيبويه فقال: وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل[٣]
- وعرفها ابن السراج فقال: الحروف ما لا يجوز أن يخبر عنها، ولا يجوز أن تكون خبرًا، ولا يأتلف منه مع الحرف كلام[٤]
- وعرفها الزمخشري فقال: والحرف ما دل على معنى في غيره، ومن ثم لم ينفك من اسم أو فعل يصحبه، إلا في مواضع مخصوصة حذف فيها الفعل واقتصر على الحرف، فجرى مجرى النائب، نحو قولهم: نعم وبلى وإي[٥]

---

[١] "متن الألفية"، محمد بن عبدالله بن مالك، المكتبة الشعبية، بيروت - لبنان

[٢] من مقال لمسعد أحمد الشايب، منشور في شبكة الألوكة بعنوان "معنى الحرف في اللغة العربية"

[٣] الكتاب" لعمرو بن عثمان بن قنبر، أبي بشر، الملقب سيبويه ت)١٨٠هـ(، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، نشر: مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة: الثالثة)١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م(،(١٢ / ١)

[٤] "الأصول في النحو" لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج ت)٣١٦هـ(، تحقيق: عبدالحسين الفتلي، نشر: مؤسسة الرسالة لبنان،)١/ ٤٠(.

[٥] "المفصل في صنعة الإعراب" للزمخشري ت)٥٣٨هـ(، تحقيق: د. علي بو ملحم، نشر: مكتبة الهلال بيروت، الطبعة: الأولى)١٩٩٣م(،)ص: ٣٧٩(.

- وعرفها المرادي فقال: الحرف كلمة تدل على معنى في غيرها فقط[٦]

ولعل أدق تعريف لحروف المعاني من تعريفات النحاة هو تعريف الرضي الأستراباذى[٧]، حيث قال: الحرف موجد لمعناه في لفظ غيره، فهو كلمة فارغة من المضمون، ثم قال: فالحرف وحده لا معنى له أصلًا؛ إذ هو كالعلَم المنصوب بجنب شيء ليدل على أن في ذلك الشيء فائدة، فإذا أفرد عن ذلك الشيء بقي غير دالٍّ على معنى.

شرح تعريف الرضيّ:

قولهم: (جاء لمعنى) احتراز عن الحروف التي لا معنى لها؛ كحروف التهجي، (البناء) إذا كانت أجزاء كلمة كزاي (زيد) وبائه ودالِه، فإنه لا معنى لها، قولهم: (يدل على معنى في غيره) يعني: أن تصوُّر معناه متوقِّف على خارج عنه، فإذا قلت: ما معنى (مِن)؟ فقيل لك: التبعيض، لم تفهم إلا بعد معرفتك بالجزء والكل، قولهم: (الحرف موجد لمعناه في لفظ غيره) يعني: أن المعنى الإفرادي للاسم والفعل هو في أنفسهما، والمعنى للحرف هو في غيره، فالباء مثلًا لا تدل على معنى الإلصاق أو الاستعانة أو التعليل أو المصاحبة أو البدل أو السبب أو الاستعلاء... كما جاء في معانيها حتى تضاف إلى الاسم الذي بعدها، لا أنه يتحصل منها منفردة، وكذلك اللام لا تحمل معنى الملك أو الاختصاص... حتى تكون في جملة مفيدة، ومثلها (إلى) في انتهاء الغاية أو المعية أو التبيين... حتى تأخذ مكانها في الجملة، و(على) لا تفيد معنى الشرط إلا حين يكون ما بعدها شرطًا لما قبلها؛ كقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَج ﴾ [القصص: ٢٧].

فلا وجود للحروف وهي منعزلة، بل ولا تأخذ معناها اللغوي إلا عند دخولها كعناصر ارتباط في تركيب ما.

فالحرفُ لا يدخل فيه المجاز، ولا يتحمل التضمين؛ لأن معناه غير مستقل بنفسه، ولكننا حين نضعه في سياق معين يتفتح عن رصيده المذخور وإيحائه المتجدد الذي يستمده من العلاقات التي يوحيها النظم والسياق، والمتتبع لهذه

---

[٦] "الجنى الداني في حروف المعاني" لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي المصري المالكي ت)٧٤٩هـ(، تحقيق: د. فخر الدين قباوة د. محمد نديم فاضل، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى)١٤١٣هـ = ١٩٩٢م(،)ص: ٢٠(.

[٧] الرضي الأستراباذي: محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي من أهل أستراباذ)من أعمال طبرستان(، السمنائي، نزيل النجف بالعراق)نجم الدين(، نحوي صرفي منطقي متكلِّم، له مؤلفات عدة، توفي)نحو ٦٨٦هـ = نحو ١٢٨٧م(. انظر: "خزانة الأدب")١/ ٢٨(وما بعدها، "بغية الوعاة")١/ ٥٦٧(وما بعدها، "الأعلام")٦/ ٨٦(.

الحروف في كتاب الله بعد إنعام الفحص عن كنهها وإلطاف النظر فيها، يراها تخرج عن معناها المألوف الذي وضعه علماء اللغة والنحو لها، وإنما طريقة عرضها في السياق والنظم القُرْآني تكشف عن أسرار جديدة استودعها الله فيها، كما سيتضح في المطلب القادم إن شاء الله، فليس للحرف إذًا حال تخصه في نفسه، وإنما تكون حاله لأمر راجع لفعله.

- أقسام الحروف في اللغة:

تقسم الحروف في اللغة إلى قسمين، هما: حروف المباني وحروف المعاني.

أما حروف المباني: فهي الحروف التي تتألَّف منها اللغة العربية، وهي حسب الترتيب الآتي:(٢٨حرفًا): [ا، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، و، هـ، ي]، وتدعى أيضًا حروف الهجاء.

وحروف المعاني: أدوات تربِط الكلمات مع بعضها، داخل الجملة، وهي على ثلاثة أقسام:

أ - حروف تَختصُّ بالأفعال، وهي:

حروف النصب: [أنْ، لنْ، إذنْ، كي].
حروف الجزم: [لم، لَمَّا، لام الأمر، لا الناهية].
حروف الشرط: [إن، لو، إذا].
حروف المصدر: [أن، ما، كي، لو].
حروف التحضيض: [ألا، أما، هلا، لولا، لوما].
حروف الاستقبال: [السين وسوف].
حرف الردع: [كلا].
حرف التوقع: [قد]، (تحقيق قبل الماضي، وتقليل قبل المضارع).
حروف النفي: [لن، لم، لما]، وتَختصُّ بالفعل المضارع.

ب - الحروف المختصة بالأسماء، وهي:

حروف الجر: [من، إلى، عن، على، في، الباء، اللام، عدا، خلا، حاشا، رُبَّ، مذ، منذ، حتى، الكاف، واو القسم، باء القسم، تاء القسم، كي (تَختصُّ بالدخول على الاسم الظاهر)، لولا (تختص بالدخول على الضمير)].
حروف الاستثناء: [إلا، خلا، عدا، حاشا].
حروف النداء: [الهمزة، يا، آ، أي، أيا، هيا، وَ].
الحروف المشبَّهة بالفعل: [إنَّ، أنَّ، كأنَّ، لكنَّ، ليت، لعل].

حرفا المفاجأة: [إذا، إذ].
حرفا التفصيل: [أما، إما].
حروف التنبيه: [ها، أما، ألا].
حرفا النفي: [لات، إن].

جـ - الحروف المشتركة (للأسماء والأفعال) وهي:

حروف العطف: [الواو، الفاء، ثم، حتى، لكن، لا، بل، أم، أو].
حروف النفي: [ما، لا، لات، إنْ، لم، لما، لن].
حروف الجواب: [نعم، بلا، إي، أجل، جير، جلل].
حرفا الاستفهام: [هل، الهمزة].
حرفا التفسير: [أي، أن].
حرف الاستفتاح: [ألا، أما].

- **وظيفة حروف المعاني:**

حروف المعاني أدوات ربط تربط بين كلمات وألفاظ النظم أو السياق الذي وجدت فيه كالتالي:

١. تربط ضميرًا بضمير؛ كقولنا: (أين أنت منه؟)، و(كيف أنت له؟).
٢. تربط اسمًا باسم؛ كقوله تعالى: ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢].
٣. تربط فعلًا باسم؛ كقوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾ [الانشقاق: ١٦].
٤. تربط فعلًا بفعل؛ كقوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ [يوسف: ٧٣].
٥. تربط جملة بجملة؛ كقوله تعالى: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم: ٤].
٦. قلت: وفي هذه الآية ربطت جملتين بجملتين، فهما مثالان؛ المثال الأول: ربط فيه بين جملتين فعليتين، والمثال الثاني: ربط فيه بين جملة فعلية وجملة اسمية، وأما مثال ربط جملتين اسميتين فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٧].
٧. تربط سورة بسورة، وهذا ينطبق على مثال واحد في القُرْآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ [قريش: ١]؛ فـ: (اللام) في قوله تعالى: ﴿ لِإِيلَافِ ﴾ تعليلية، تربط بين سورة الفيل وسورة قريش عند من يرى أن قوله تعالى: ﴿ إِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ متعلقًا بما في سورة الفيل من قوله تعالى:﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ [الفيل: ٥].

علامة الحرف

الحرف كما قلنا هو ما دلّ على معنى في غيره، أي في السياق الذي يرد فيه، وليست للحروف علامات محدّدة، وإنما كلّ ما لم توجد فيه علامات الفعل ولا علامات الاسم فهو حرف، والخلاصة في ذلك أن علامة الحرف أنه لا علامة له، ويسمي النحاة ذلك علامة عدمية، وإن كانت علامات الأسماء والأفعال معلومة محصورة، فأي كلمة لا تقبل تلك العلامات فهي حرف.

معنى الحرف بنفسه أم بغيره؟

إن من المتفق عليه بين النحاة أن للحرف دلالة على معنى في غيره، ويرتبط ذلك بالاسم أو الفعل الذي يصحبه، إلا أن الخلاف بين النحوين أن، هل للحرف معنى قائم بنفسه؟ ولقد أسهم في الإجابة عن هذا التساؤل النحويون والأصوليون (أصول الفقه) وهم بذلك على ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول:

أن الدلالة على المعنى مرتبطة بالسياق اللغوي، إلا أن للحرف معنى في غيره، وبمفهوم المخالفة ليس للحرف معنى في نفسه، وليس للحرف معنى على الإطلاق، إذ عرّف ابن يعيش الحرف بأنه ما دل على معنى في غيره، وقال ابن عقيل: "وإن لم تدل الكلمة على معنى في نفسها بل في غيرها فهي حرف"، ولقد اتجه نحو ذلك ابن الناظم وابن الخشاب والمحقق الرضى في شرح الكافية.

ولنفي أن المعنى قائم بنفسه فقد ذكر السيد الجرجاني الأصولي في حاشيته على مختصر ابن الحاجب بأن المعنى الذي وضع له اللفظ نوعان:

١ - المعنى المطلق: وهو ما يستعمل مسند إليه أو مسند أي مثل المبتدأ والخبر والفعل والفاعل.

٢ - المعنى المقيد: وهو المعنى حسب الاستعمال بحيث يشكل مفهوما محددا مثل لفظ الابتداء الذي وضع ليراد منه هذا المعنى أو من خلال الحالات المتعلقة بقصد المتكلم من علاقة الحرف باللفظ المرتبط به، مثل: ذهبتُ من المدرسة وذهبتُ إلى المدرسة ولذا لا تدل على الابتداء والانتهاء إلا في حالة انضمامها إلى غيرها ولذلك يسمي المناطقة حروف المعاني بحروف النسبة أو الوصلات لأنها تقوم بالربط بين معاني الجملة.

ولذلك فإن الغاية والحد قد يُستغرقان في الحكم الشرعي وقد لا يُستغرقان، مثال ذلك قوله تعالى: "فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق"، ولذا فمن غسل يديه إلى نهاية المرافق أو بدايتها فلقد صدق عليه القول.

الاتجاه الثاني:

أن للحرف معنى بنفسه كما يدل نظيراه من الاسم والفعل سواء داخل الجملة أو خارجها مثل فوق، وعلى، لتدلل على العلو، ولقد مثل هذا المذهب محمد بن إبراهيم النحاس الحلبي النحوي وأبو حيان الأندلسي.

الاتجاه الثالث:

أن للحروف معاني في نفسها إلا حروف الجر، فلا يتشكل معناها إلا بانضمامها إلى غيرها، ويؤيد هذا الاتجاه الفضلي، فالواو تدل على العطف، بينما (إلى) لا تدل على معنى الانتهاء بنفسها، وذلك بإفرادها من الجملة إلا بالربط بين الاسم والفعل ونسبة أحدهما إلى الآخر، مثل: ذهب إلى السوق، وهذا ما يوافق قول الفارابي في تقسيمه للحروف إلى خوالف وموصلات وحواشي، وذلك بتقريب النحو العربي من النحو اليوناني، والذي اعتبره طه عبد الرحمن تدجيلا لغويا، إلا أن ابن النديم ذكر تأثر الرماني بكتابه معاني الحروف لأرسطو طاليس.

ونجد أن للحرف معنى في نفسه ومعنى بغيره، إذ أن التصور الذهني للحرف يدلل على معناه، فالأداة (إلى) تدل على الانتقال والانتهاء بذهن المستمع العربي، وكذلك الواو تدلل على العطف، إذ أن الفراهيدي فسر الحروف الهجائية حرفا حرفا، بشواهد شعرية غير موجودة في عيون الشعر العربي، أما الرازي فقد تحدث عن خصائص الحروف الصوتية، ومن الأمثلة على معنى حرف الجيم لدى الخليل بأنه الجمل القوي وقال عمرو:

تجدني جيما في الوغى ذا شكيمة

ترى البزل فيه راتعات هواربا

ولقد حدد فقه اللغات السامية المقارن، معاني للحروف الأبجدية، وإن رسم الحروف يقترب من معانيها، وبذلك تقترب من تصور الخليل، وإن اختلفت المعاني مثل الباء معناها بيت بفقه اللغات السامية.

ويتضح من سؤال أبي سعيد السيرافي لمتّى بن يونس بأن للحرف معنى في نفسه وبغيره، إذ يقول أسألك عن معاني حرف واحد، وهو دائر في كلام العرب وهو الواو عن أحكامه، وكيف مواقعه، وهل هو على وجه أو وجوه؟

مما يدلل أن للواو وجوها في المعنى، وإن قيل عن السيرافي بغير ذلك، فمن معانيها كما يبين السيرافي في معاني نحو الحروف، العطف والقسم والاستئناف، والتي يستغنى بها عن معاني المنطق، ويقول السيرافي: "ومن جهل حرفا أمكن أن يجهل حروفا، ومن جهل حروفا جاز أن يجهل اللغة بكاملها".

وقال الفراء "وأموت وفي نفسي شيء من حتى" مما يدلل أنه لم يفرغ من معاني (حتى) وإن الحروف تدخل في حساب الجمل فالعين يحسب واحد والباء اثنان، ومن ذلك أيضا اختلاف المفسرين في تفسير معاني حروف فواتح السور القرآنية.

وعلى هذا المنهج سار الأصوليون لتفسير معنى الحرف بنفسه، وبيان وجوه التفسير للحرف بذاته، لبيان تفسيره بارتباطه بغيره، أي أن للحرف معنى مستقل منفرد، وإن لم يكن له معنى معجمي، ومعنى سياقي، وسميت بحروف المعاني لتميزها عن حروف المعاني، ومنها حرف الواو كما بين الزحيلي، والذي يفيد العطف وفي حكمها ثلاثة مذاهب:

أحدها: أنها للترتيب وهو الذي اشتهر عن أصحاب الشافعي، الثاني: أنها للمعية وهو رأي مالك ونُسب إلى الصاحبيين أبي يوسف ومحمد بن حنفية، الثالث: أنها لمطلق الجمع، أي أنها لا تدل على ترتيب ولا معية جمعا، وهذا مذهب جمهور أهل اللغة والأدب والنحو وأئمة الفتوى والشرع، فمثلا: جاءني زيد وعمرو فالحكم تفيد بالاشتراك المجيء دون مفارقة أو ترتيب مما يدلل على أن للحرف معنى بذاته، وما يدلل على أنها للجمع والاشتراك، لقوله تعالى في سورة البقرة: "وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة"، فالأمر والمأمور والزمن واحد ليس للترتيب.

- **نيابة حروف الجر بعضها عن بعض**

الأصل في حروف الجر أن يكون لكلِّ حرف منها مكانٌ يحله، ومعنًى يؤدِّيه حين تركيبه مع غيره، غير أنَّ العرَب تتوسَّع فيها، فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربَت المعاني[٨].

وقد ذكر العلماء أنَّ تناوب حروف الجر "بابٌ في العربية دقيق المداخل والمخارج، ويفضي إلى غير قضيَّة، وهو بابٌ يمسك النُّحاةُ منه بطرَف، وأهل البيان بطرف آخر؛ لأنَّه بابٌ يُسَلَّطُ فيه النَّظر على المبنى والمعنى، وللعلماء فيه مذاهب شتَّى، ودروب متباينة، وتأويلات مختلفة، ولكنَّه على ما فيه من عناء ممتع شائق لطيف؛ لأنَّ النظر فيه عمل من أعمال العقل، تنقدح الحقائق للنَّاظر فيه بعد طول تأمل وإمعان نظر" [٩].

---

[٨] انظر: الكتاب)١/ ٣١٠(، والأصول لابن السراج)١/ ٤١٤(، والمقتضب)١/ ٣٩( )٤/ ١٣٩(.

[٩] تناوب حروف الجر في لغة القرآن، ص:)٥(د. محمد حسن عواد، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٥م.

وقد أوردَ اللغويون والنُّحاةُ شواهدَ تلك الظَّاهرة متناثرة في ثنايا كتبهم أحيانًا، وأفرد لها بعضهم أبوابًا مستقلَّة في أحيان أخرى[١٠].

وقد انقسمَ النحاةُ وطال بينهم الخلاف حول قبول نِيابة حروف الجرّ بعضها عن بعض إلى فريقين:

الأول: ذهب الكوفيُّون وبعض البصريين إلى أنَّ حروف الجرّ يجوز أن تنوب عن بعضها البعض، وحجَّتهم في ذلك كَثرة الشواهد المسموعة من القرآن الكريم والشعر العربي[١١].

ومن ذلك: قول الله تعالى: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ أي: لهدايته إيَّاكم.

وقوله: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه: ٧١]؛ أي: على جذوع النَّخل.

وقوله: ﴿ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [محمد: ٣٨]؛ أي: على نفسه.

وقال الشاعر:

وإن يلتق الحيُّ الجميعُ تلاقني

إلى ذِروة البيت الرَّفيع المُصَمَّدِ[١٢]

أي: في ذروة البيت.

وقال آخر:

فإن تسألوني بالنساءِ فإنَّني

بصيرٌ بأدواءِ النساءِ طبيب[١٣]

---

[١٠] كما فعل ابن قتيبة حين عقد في كتابه:)أدب الكاتب(بابًا بعنوان:)باب دخول بعض الصِّفات مكان بعض(، ص:)٥٠٦(؛ لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد الدالي، طبعة مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ، والخصائص)٢/ ٣٠٦( )الأزهية(ص)٢٧٧، وما بعدها(، وفِقه اللغة وأسرار العربية)ص ٣٩٥، وما بعدها(؛ لأبي منصور الثعالبي، شرَحه وقدَّم له ووضع فهارسه: د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠، ٢٠٠٠م.

[١١] انظر: مغني اللبيب)١/ ١٥٢(النحو الوافي)٢/ ٥٦٤، وما بعدها(، ومعاني النحو؛ لفاضل السامرائي)٣/ ٦، وما بعدها(، ظاهرة التقارض في الدرس النحوي، ص:)٤٧(، د. عبدالله أحمد جاد الكريم، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

[١٢] البيت من الطويل، وهو لطرفة بن العبد في ديوانه، ص: (24)، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م، والأزهية ص)٢٧٤(، وخزانة الأدب)٩/ ٤٦٩(، مقاييس اللغة، مادة)صمد(؛ لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، المعجم المفصل)٢/ ٤٣٩(، والشاهد فيه: استعمال)إلى(بمعنى)في(.

[١٣] البيت من الطويل؛ وهو لعلقمة الفحل في ديوانه بشرح السيد أحمد صقر، ص:)١١(، المطبعة المحمودية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٣هـ، ١٩٣٥م، وأدب الكاتب، ص:)٥٠٨(، والأزهية، ص:)٢٨٤(، والجنى الداني، ص:)٤١(، والمقاصد النحوية)٤/ ١٥٩٢(، وهمع الهوامع)٢/ ٣٣٨(، المعجم المفصل)١/ ٣٠٩(، والشاهد فيه: استعمال الباء بمعنى)عن(.

أي: عن النساء.

وقد بلغَت شواهد هذه الظَّاهرة من الكثرة إلى الحدِّ الذي قال معه ابن هشام الأنصاري:

"ولو ذكرتُ أحرف الجرّ ودخول بعضها تحت بعض في معناه، لجاء من ذلك أمثلة كثيرة"[١٤]

الثاني: ذهب البصريُّون إلى أَنَّ حروفَ الجرِّ لا ينوب بعضها عن بعض، وهذا ظاهرُ كلام سيبويه، وعليه أغلب النُّحاة، وبه قال بعض المحدثين[١٥]

وهؤلاء قد قاسوا حروفَ الجرِّ على أحرف النَّصب والجزم، فكما لا يَجوز في هذه الحروف أن ينوب بعضها عن بعض، كذلك لا يَجوز في حروف الجرِّ أن يحدث تناوب.

فإن ورد ما أَوْهم خلاف ذلك، فهو مؤوَّل؛ إمَّا على التضمين، أو على المجاز.

فمن الأول: قوله تعالى: ﴿ أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٢]؛ إذ ضمن (عاكفون) معنى (عابدون)[١٦]

ومن الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه: ٧١]؛ حيث إنَّ المصلوب لتمكُّنه من الجذع كأنَّه قد صار فيه[١٧]

وقد وصف ابنُ القيم من يقولون بنيابة الحروف بعضها مكان بعض بـ (ظاهرية النحاة) الذين لا يسبرون أغوار المعاني، وانتصر للبصريِّين ومذهبهم، حتى أطلق عليهم (فقهاء العربية)[١٨]

وقد حاول ابن جنِّي أن يتوسَّط، فقال: "ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا - أي: الكوفيون - لكنَّا نقول: إنَّه يكون بمعناه في موضع دون موضِع على حسب الأحوال الدَّاعية إليه والمسوغة له، فأمَّا في كل موضع وعلى كل حال، فلا؛ ألا ترى أنَّك إن أخذتَ بظاهر هذا القول لزمك أن تقول: (سرت إلى زيد) وأنت تريد (معه).؟ وأن تقول: (زيد في الفرس) وأنت تريد (عليه)[١٩].

---

[١٤] مغني اللبيب)٢/ ٨٨١(.

[١٥] انظر: الكتاب)٤/ ٢١٧(، والأصول في النحو؛ لابن السراج)١/ ٤١٤(، والجنى الداني، ص:)٤٦(ومغني اللبيب)١/ ١٥٢(، ومعاني النحو؛ للسامرائي)٣/ ٧(، تناوب حروف الجر في لغة القرآن، ص:)٥(.

[١٦] انظر : البحر المحيط)٦/ ٢٩٩(.

[١٧] انظر: المفصل، ص:)٣٨١(، ومغني اللبيب)١/ ١٥٢(.

[١٨] انظر: بدائع الفوائد؛ لابن القيم)٢/ ٣١(، تحقيق: محمد بن إبراهيم الزغلي، عمان، دار المعاني، ١٤٠٢هـ، ١٩٩٠م.

[١٩] الخصائص لابن جني)٢/ ٣٠٨(.

أيضاً عقد العلّامة ابن جني رحمه الله في "الخصائص" باباً سماه «تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني» وفيه أشار لظاهرة مناسبة الحروف للمعاني، وذكر لذلك مثالاً في قول الله سبحانه: (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) قال أي: تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزّهم هزًّا، والهمزة أخت الهاء... وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ؛ لأنك قد تهز ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة". قارن هذا بقوله:"وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ" فالهزّ هنا يوحي باللطف والتحنن، والهاء من الحروف الرخوة، وهو من الحروف المهموسة، بل هو أضعفها.

ويمكن أن يقال: إنَّه لم يقل أحد من الكوفيين بتناوُب الحروف في كلِّ حال، وإنَّما اقتصروا على المسموع، وعلى هذا فما ذهب إليه ابنُ جني هو عين مذهب الكوفيين.

والذي يلوح لي أنَّ رأي الكوفيين هنا أَيسر وأَقرب للفهم؛ لِما ورد من شواهد في القرآن والشعر وكلام العرب.

أما من منعه، فإنه يُرَدُّ عليهم بما يأتي:

أولاً: أنهم لَجؤوا إلى الاستعمال المجازي مع إمكان الاستعمال الحقيقي.

ثانيًا: أنَّهم قالوا بالتضمين هروبًا من القول باستعمال حرف مكان حرف، فوقعوا فيما هربوا منه؛ وذلك أنَّ الفعل بمعنى فعل آخر.

ثالثًا: عندما يعجزون عن التأويل، فإنَّهم يقولون بالشذوذ، ولا يمكن أن يقال في ما جاء في القرآن وكلام العرب: أنه شاذ.

- **أنواع المؤلفات في شرح حروف المعاني**

لقد سلك العلماء طرقاً متنوعة في التأليف في شرح معاني الحروف، وسأوجز الحديث عن أشهر تلك الأنواع:

النوع الأول: إدراجها في كتب الوجوه والنظائر، وهو أوّل ما ظهر من الكتابة في معاني الحروف، وسبب ذلك أنّ الحروف ترد على وجوه متعددة من المعاني، غير أنّ هذا النوع من التأليف لا يختص بالحروف ولا يتقصّاها؛ ومن أشهر الكتب المؤلفة في هذا النوع:

١ - كتاب "الوجوه والنظائر" لمقاتل بن سليمان البلخي(ت:١٥٠هـ)، وقد ذكر فيه معاني بعض الحروف مثل: "إلى"، و"إلا" و"إن"، و"أو" و"أم" و"حتى"، و"لولا"، و"لما" وغيرها.

٢ - "الوجوه والنظائر" لهارون بن موسى النحوي(ت:١٧٠هـ) ، وقد ذكر فيه معاني بعض الحروف ومنها: "إن" و"أنى" و"أم" و"أو" و"من"

و"في" "ولما" وغيرها، وفيه اعتماد كبير على كتاب مقاتل، وزيادة عليه.

٣ - التصاريف ليحيى بن سلام البصري(ت:٢٠٠هـ)، وقد ذكر فيه معاني بعض الحروف مثل معاني "من" و"في" و"إن" و"أن" وغيرها.

٤ - كتاب "وجوه القرآن" لإسماعيل بن أحمد الحيري الضرير(ت:٤٣١هـ).

٥ - "إصلاح الوجوه والنظائر" للقاضي أبي عبد الله محمد بن علي الدامغاني(ت:٤٧٨هـ)

٦ - "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر" لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي(ت:٥٩٧هـ).

٧ - "كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر"، لشمس الدين محمد بن محمد البلبيسي المعروف بابن العماد المصري(ت:٨٨٧هـ).

النوع الثاني: إدراج شرحها في معاجم اللغة.

وسبب ذلك أنّ الحروف من المفردات التي يكثر دورانها في الاستعمال؛ فكان من عناية أصحاب المعاجم اللغوية شرحها فيما يشرحون من المفردات على تفاوت ظاهر بينهم في ذلك، ومن أشهر المعاجم اللغوية:

١ - كتاب "العين"، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٠هـ) وقد شرح معاني بعض الحروف كما في شرحه لـ"أو" و"أم" و"أي" وغيرها.

وهذا الكتاب أصله للخليل بن أحمد، وأتمّه تلميذه الليث بن المظفر بن نصر بن سيار، وقد تتبعَّه ونقده الإمام أبو منصور الأزهري في كتابه الجليل "تهذيب اللغة"؛ فلذلك أوصي من يرجع إلى شرح مفردة في كتاب "العين" أن يطالع شرح تلك المفردة في "تهذيب اللغة".

٢ - جمهرة اللغة"، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي(ت:٣٢١هـ).

٣ - "تهذيب اللغة" لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري(ت:٣٧٠هـ).

٤ - "المحيط في اللغة"، لأبي القاسم إسماعيل بن عباد الطالقاني المعروف بالصاحب بن عباد (ت:٣٨٥هـ).

٥ - "تاج اللغة وصحاح العربية"، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)

٦ - "مجمل اللغة"، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي(ت: ٣٩٥هـ) ، وله أيضاً "مقاييس اللغة" ، لكن تناوله لمعاني الحروف في "مجمل اللغة" أكثر.

٧ - "المخصص"، لأبي الحسن علي بن إسماعيل المرسي المعروف بابن سيده الأندلسي(ت:٤٥٨هـ)، وله أيضاً "المحكم والمحيط الأعظم"

٨ - "لسان العرب"، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي(ت:٧١١هـ)
٩ - "القاموس المحيط"، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت:٨١٧هـ)
١٠ - "تاج العروس من جواهر القاموس"، لأبي الفيض مرتضى الزبيدي(ت:١٢٠٥هـ).

فهذه أشهر المعاجم اللغوية، وفيها تناول لمعاني بعض الحروف بالشرح والتمثيل، واستخراج كلام أصحاب المعاجم في معاني الحروف، وترتيبه على حروف المعجم عمل نافع لو تصدّى له أحد.

النوع الثالث: التأليف المفرد في معاني الحروف

وقد صنّف في معاني الحروف جماعة من أهل العلم، ومن أشهر كتبهم وأهمّها:

١ - الحروف، لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٥ هـ).
٢ - المحلّى، لأبي بكر أحمد بن الحسن بن شقير النحوي البغدادي(ت:٣١٧هـ)، وقد بدأه بتفسير وجوه النصب والرفع والخفض والجزم، ثمّ أخذ في شرح أنواع الحروف ومعانيها.
٣ - حروف المعاني والصفات، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٤٠ هـ).
٤ - الحروف، لأبي الحسن علي بن الفضل المزني النحوي (ت: ق٤)، وكان معاصراً لابن جرير الطبري.
٥ - منازل الحروف، لأبي الحسن علي بن عيسى الرُّمَّاني(ت:٣٨٨ه).
٦ - الأُزهية في علم الحروف، لأبي الحسن علي بن محمد الهروي النحوي (ت: ٤١٥هـ).
٧ - رصف المباني في حروف المعاني، لأبي جعفر أحمد بن عبد النور المالقي(ت:٧٠٢ه)
٨ - التحفة الوفية بمعاني حروف العربية، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الصفاقسي(ت:٧٤٢هـ) تلميذ أبي حيان الأندلسي.
٩ - الجنى الداني في حروف المعاني، لأبي محمد الحسن بن قاسم المرادي المراكشي(ت:٧٤٩ه) المشتهر بابن أمّ قاسم.
١٠ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لأبي محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري(ت:٧٦١ه).
١١ - جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، لعلاء الدين بن عليّ بن بدر الدين الإربلي(ت:ق٨ هـ)، وفي اسم مؤلّفه خلاف، وقال الأستاذ محمّد عبد

الخالق عضيمة: (الظاهر أن مؤلف الكتاب هو: العلاء بن أحمد بن محمد بن أحمد السيرامي المتوفي سنة ٧٩٠).

١٢ - مصابيح المغاني في حروف المعاني، لجمال الدين محمد بن علي المَوزعي المعروف بابن نور الدين (ت ٨٢٥ هـ)

١٣ - فتح الرؤوف في أحكام الحروف وما في معناها من الأسماء والظروف، لجمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي المعروف بِبَحْرَق(ت: ٩٣٠هـ) ، وهي منظومة شرحها في كتاب لطيف.

١٤ - كفاية المُعاني في حروف المعاني، وهي منظومة حسنة لأبي محمد عبد الله بن محمد البيتوشي الكردي (ت:١٢١١ه)، وقد ذُكر عنه أنه كان يحفظ "القاموس المحيط" عن ظهر قلب، وقد اعتنى بمنظومته هذه عناية فائقة، وألّف في شرحها ثلاثة كتب:

أ: الحفاية بتوضيح الكفاية، وهو شرح كبير طُبع في نحو ثمانمائة صفحة.

ب: والكفاية لراغب الحفاية، وهي تعليقات مختصرة.

ج: وصرف العناية في كشف الكفاية، وهو شرح متوسط أودع فيه زبدة ما في الحفاية مع زوائد وفوائد.

١٥ - غنية الطالب ومنية الراغب في الصرف والنحو وحروف المعاني، للأستاذ أحمد بن فارس الشدياق(ت:١٣٠٥هـ).

-النوع الرابع: إفراد بعض الحروف بالتأليف.

ومن الكتب المفردة في معاني بعض الحروف:

١ - الهمز، لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري(ت:٢١٥هـ).

٢ - الألفات، لأبي محمد بن القاسم بن بشار ابن الأنباري: (ت: ٣٢٨ هـ)

٣ - الألفات، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد ابن خالويه الهمَذاني(ت:٣٧٠هـ)

٤ - كتاب "اللامات"، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي(ت: ٣٤٠هـ).

٥ - اللامات، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس(ت:٣٣٨هـ).

٦ - واللامات، لأبي زكريا أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت:٣٩٥هـ)، وله "مقالة كلا".

٧ - ولأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري(ت:٥٧٧هـ) كتب مفردة في بعض الحروف منها: كتاب "كلا وكلتا"، كتاب "لو وما" ، وكتاب "كيف" ، وكتاب "الألف واللام".

٨ - الفصول المفيدة في الواوات المزيدة، لأبي سعيد خليل بن كيلكلدى بن عبدالله العلائي(ت:٧٦١هـ).

وتتبع ما كتب في هذا النوع من الرسائل والكتب وجمعه نافع جداً لو تصدّى له أحد.

وفي ما يلي أمثلة توضح نمط هذا النوع من التأليف، والأمثلة من كتاب حروف المعاني والصفات، للزجاجي:

خاتمة:

إن المصنفات التي عنت بدراسة معاني الحروف، كثيرة أكثر مما تناوله هذا البحث، ومنها مؤلفات لم يصلنا منها سوى أسمائها، ولعل هذه الوفرة تشير إلى كل مهتم بأن يحاول التجديد في منهجية هذا النوع من الأبحاث، بحيث توفر دراسة حديثة موسعة تبحث في معاني الحروف، فإن البحث في معنى حرف واحد أشبه بالاغتراف من البحر، وكما قال الفراء: "أموت وفي نفسي شيء من حتى".

ملحق المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- محمد بن عبدالله بن مالك، "متن الألفية"، المكتبة الشعبية، بيروت - لبنان، ب.ت
- أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب بسيبويه ت (١٨٠هـ)، "الكتاب"، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة: الثالثة (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م)،
- أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج ت (٣١٦هـ)، "الأصول في النحو" تحقيق: عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة - لبنان، ب.ت
- الزمخشري ت)٥٣٨هـ(، "المفصل في صنعة الإعراب"، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٣م).
- أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي المصري المالكي ت)٧٤٩هـ(، "الجنى الداني في حروف المعاني" تحقيق: د. فخر الدين قباوة و د. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ = ١٩٩٢م).
- عبدالقادر بن عمر البغدادي، "خزانة الأدب"، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م
- جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤م
- خير الدين الزركلي، "الأعلام"، دار العلم، بيروت - لبنان، الطبعة: السابعة، ١٩٨٦م
- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، "المقتضب"، ط الأوقاف المصرية، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤م
- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، "البحر المحيط"، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، الطبعة الجديدة، ٢٠١٠م
- محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، "بدائع الفوائد"، تحقيق: محمد بن إبراهيم الزغلي، عمان - دار المعاني، ١٤٠٢هـ، ١٩٩٠م.

- "طرفة بن العبد في ديوانه"، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م
- أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، "أدب الكاتب"، تحقيق: د. محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ب. ت
- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، "مقاييس اللغة"، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م
- جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، "همع الهوامع"، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م
- بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني، "المقاصد النحوية"، ت: أ.د. علي فاخر أ.د. أحمد توفيق السوداني د. عبدالعزيز فاخر، دار السلام، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م
- علي بن محمد النحوي الهروي، "الأزهية في علم الحروف"، تحقيق: عبدالمعين الملوحي، ط مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة: الثانية، ١٩٩٣م

ثانيا: المراجع:

- مسعد أحمد الشايب، من مقال منشور في شبكة الألوكة بعنوان "معنى الحرف في اللغة العربية"
- السيد أحمد صقر، " بشرح ديوان علمقة الفحل"، المطبعة المحمودية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٣هـ، ١٩٣٥م،
- فاضل صالح السامرائي، "معاني النحو"، دار الفكر، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م
- د. محمد حسن عواد، "تناوب حروف الجر في لغة القرآن"، دار الفرقان - عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٥م.
- د. عبدالله أحمد جاد الكريم، "ظاهرة التقارض في الدرس النحوي"، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢.